إسهامات ابن خلدون

ولد ابن خلدون في تونس سنة 1332م وتوفي سنة 1406م من أسرة هاجرت من الأندلس، ويعود نسبه إلى حضرموت جنوب الجزيرة العربية، حيث نشأ في أسرة معروفة بالفقه والأدب.

يمكن تقسيم مراحل حياته حسب العلماء إلى أربعة مراحل:

1- مرحلة النشأة، واستمرت 18 سنة تثريبا، حيث كان أبوه عالما وتتلمذ على أيدي علماء وفقهاء أكفاء، حيث حفظ القرآن ودرس علوم الدين واللغة والفقه والفلسفة والمنطق، كما أنه تعمق في علم التاريخ.
2- اشتغل بوظائف الدولة وعرف دواليبها، وعرف الوظائف الإدارية والملكية والسياسية، واشتغل سفيرا في بلاد الغرب الإسلامي وشرقه لمدة عشرين سنة.
3- اشتغل بعدما تخلى عن السياسة بالقراءة والتأليف، وهنا كتب كتابه الشهير "المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، واشتغل بعدها كمدرس بجامعة الزيتونة بتونس
4- انتقل إلى مصر للتدريس بالأزهر وعمل بالقضاء، إلى أن وافته المنية سنة 1406م

لقد توصل من خلال علمه وعمله إلى وجود ظواهر اجتماعية تحتاج لمعرفة قوانينها وفهمها إلى منهج آخر غير التاريخي، فاهتدى في دراسة أحوال وطبائع العمران البشري إلى ابتداع مجال خاص بها لتكون موضوعا لعلم العمران البشري في مقدمته، "فأنشأت في التاريخ كتابا...اخترعته من بين المفاهيم منهجا عجيبا، وطريقة مبتدعة وأسلوبا، وشهرت فيه أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية ما يعلمك بعلل الكون وأسبابها... وكل هذا العلم المستقل بذاته فإنه ذو موضوع العمران البشري والاجتماعي الإنساني، وذو مسائل وبيان ما يلحقه من العوارض والأحوال واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا، واعلم إن الكلام في هذا الغرض... غريب النزعة غزير الفائدة"، وهذا بمثابة إعلان عن ميلاد علم جديد وهو العمران البشري موضوعه بيان ما يلحق هذا العمران من أحوال وعوارض، ومنهجه يستند إلى الموضوعية، وهدفه معرفة القوانين المتحكمة في الظواهر.

يشهد الكثير من المهتمين بعلم الاجتماع اليوم بأن ابن خلدون هو عالم الاجتماع الأول أبرزهم إلمر بارنز في كتابه مقدمة في تاريخ علم الاجتماع.

ما موضوع علم الاجتماع عند ابن خلدون؟

لقد حدد ابن خلدون موضوع علم العمران البشري بدقة لم يسبقه إليه أحد، وهو كالتالي:

1- الحياة الاجتماعية في مظاهرها وفعالياتها، ويشمل أنشطة علم الاجتماع الإنساني في علاقتها ومعارفها وفي صراعها.
2- تكوين الجماعات وعاداتها وتقاليدها، والكشف عن القوانين المتحكمة فيها.
3- ما يدفع الناس للاجتماع لإشباع حاجياتهم من ضرورات اجتماعية.
4- تطور المجتمعات من البداوة إلى الاستقرار والحياة المدنية.
5- موضوع التحضر والترييف ومميزات أهل الحضر والبدو.
6- موضوع الصراع وأهميته في العمران البشري.
7- موضوع السلطة والدولة محددا عمر الدولة في ثلاث مراحل
8- كما اهتم كذلك بالتربية والتعليم وأهميتهما في المجتمع مع تحديد إطارهما وسيادتهما.

ما هو المنهج المعتمد لدراسة العمران البشري؟

ككل علم يحتاج إلى موضوع ومنهج محدد يمكننا من الكشف عن القوانين المتحكمة في الظواهر، حدد ابن خلدون مجموعة من الخطوات:

1- الاستقلالية: أي التخلي المطلق عن الذاتية والقناعات الشخصية، وكذا الأحكام المسبقة حول الظواهر.
2- البيانات الدقيقة والاعتماد على الملاحظة المباشرة والمقارنة.
3- إبراز وتحديد العلاقة السببية (العلية) بين الظواهر المدروسة والظروف الخارجية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا.
4- تتبع الظاهرة ومقارنة ماضيها بحاضرها، لأن الظواهر في نظره تتغير وفق الظروف.

5- توخي الدقة والصرامة المنهجية عند التعميم، خصوصا وأن المجتمعات لا تتشابه في سياقاتها وظروفها وخصائصها الاجتماعية.

الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون:

جعل ابن خلدون من العصبية العمود الفقري للأنشطة السياسية والاجتماعية، وأساس قيام الدولة، وذلك لحاجتها إلى رابطة تجمع الأفراد تحت لوائها، لأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ويحتاج إلى كيان ينتمي إليه لتوفير حاجياته التي لا تتحقق إلا في إطار القبيلة كشكل من أشكال الروابط الأكثر شيوعا وقتئذ، ويرى ابن خلدون ان انتشار العمران ساهم في نشأة الفلسفة خصوصا في المدن.

خلاصة:

تعد هذه الإسهامات بمثابة تأسيس علمي لعلم الاجتماع كعلم مستقل بذاته له موضوعه ومنهجيته، للحفاظ على الجنس البشري، فالإنسان يحتاج إلى الغير كضرورة حياتية بصراعاتها وتعاونها وتطورها وتغيرها، كما أنه يحتاج إلى سلطة تنظيم المجتمع واستقراره وهي شرط بقاءه واكتمال المجتمع.